

الخصائص البشرية التي تميز بها الإنسان عن بقية المخلوقات

دراسة انتروبولوجية سوسولوجية في علم الإنسان

أ. محمد المهدي الحجاجي - قسم علم الاجتماع - كلية الآداب واللغات - جامعة طرابلس

البريد الإلكتروني: m.alhgagi@uot.edu.ly

ملخص:

إن الإنسان يتميز بخصائص جسمية، وعقلية، وثقافية، وفسيولوجية، واجتماعية، لا تملكها الكائنات الأخرى، ويؤكد أغلب علماء الأنثروبولوجيا على أن التطور يعتمد على البيئة الطبيعية الملائمة والوراثة بواسطة الجينات، وعلى التغيرات الوراثية التي يسببها عامل الطفرة، وكلاهما يساعد على إيجاد أنواع من الكائنات الحية يمكنها أن تتلاءم مع البيئة هي أطول عمراً، أو أقوى على الحياة من الكائنات التي لا تمكنها صفاتها وخصائصها الجسمية والعقلية من التلائم والاستمرار، ويرتبط بهذا العامل أيضاً قدرة الكائن الحي على التكاث، وبذلك يصبح الكائن الحي أقدر على البقاء من كائن آخر لا يتكاثر بنفس السرعة، ويمكن أن ننظر إلى توزيع الحياة الحيوانية على سطح الأرض في الوقت الحاضر لنجد أن بعض الحيوانات، والنباتات أيضاً تتوزع في مناطق معينة، هي المناطق الجغرافية الملائمة لمعيشة هذا الحيوانات أو نمو ذلك النبات، والواقع إن موت بعض الكائنات الحية أو انقراض بعض الحيوانات، أو التغير في خصائصها وصفاتها، أو عملية التكاثر واستمرار الحياة لبعض منها، أمر إلهي يتحكم به الله سبحانه وتعالى، فهو الذي يسير الكون والحياة كيف يشاء لحكمة هو يعلمها، وهناك الكثير من الشواهد والأدلة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، التي سبق الإشارة إليها في هذا البحث، وإن كافة الآراء والأفكار التي تخالف ذلك فهي غير صحيحة.

كل النظريات، والآراء، والأفكار التي يؤمن بها بعض علماء الحفريات والأنثروبولوجيا، أن الحياة تطورت من البسيط إلى المعقد فيما يتعلق خاصة بخلق الإنسان وأن أصوله والمجموعة الشبيهة به من القرد العليا قد انحدر من أصل واحد، مؤكدين ذلك من خلال آراء تشارلز داروين، وما ثم العثور عليه من الحفريات البشرية، التي تجمع بين الصفات البشرية والحيوانية - الحلقة المفقودة في ذلك، إن هذه الهياكل قد تكون لبعض بني إسرائيل، الذين حولهم الله إلى قردة عندما عثو عن ما نهو عنه وهم أصحاب السبت، إن هذه الهياكل العظمية التي تم اكتشافها من قبل علماء الحفريات،

وقام علماء الأنثروبولوجيا الأصل، وعلماء الأحياء، وعلماء الوراثة، وعلماء التشريح، وعلم وظائف الأعضاء بدراساتها، وأكدوا على أنها تخص إنسان من خلال استقامة العمود الفقري، وعظام الحوض، ولكن الجمجمة ظهر عليها بعض الخصائص الحيوانية على أساس أنها تخص القردة العليا، مثل بروز الفك السفلي وتشابك الأنياب، وانبساط في أعلى الرأس، فالرأي الأقرب أن هذه الهياكل تخص مجموعة من بني إسرائيل خالفوا أمر الله في السبت بوضع الشباك يوم الجمعة، وأخذها يوم الأحد خداع للخالق، فحولهم الله إلى قردة خاسئين، فكان أمره بين الكاف والنون [كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ]، فهذا الأمر لا شك فيه ومقبول: لأنه وردت به آيات من الذكر الحكيم.

المقدمة:

إن ظهور الإنسان على سطح الأرض لم يأت فجأة، وإنما جاء بعد سلسلة طويلة من التطور في الحياة، ومن خلال العصور الجيولوجية المختلفة، فقد ثبت عند دراسة الحفريات التي تم العثور عليها في طبقات الأرض في عصور متتالية من الأقدم إلى الأحدث، أن الكائنات الحية قد تتابع أيضاً في ظهورها، وكانت تتطور باستمرار، فقد تطورت من كائنات فطرية بسيطة في أول الأمر إلى حيوانات راقية في سلم التطور، وقد توج الإنسان العاقل هذه السلسلة من التطور في الأحياء على سطح الأرض، فقد امتلك مميزات وخصائص لا توجد عند بقية المخلوقات.

الإنسان وإن كان يمثل الآن أهم مظاهر الحياة على سطح الأرض، هو وحده - من بقية الأحياء - الذي لعب الدور الحضاري الذي شهدته الطبيعة، على الرغم من أنه لا يمثل في تاريخ الحياة إلا فترة قصيرة مقارنة ببقية المخلوقات، ذلك إن أقدم العناصر البشرية التي تم العثور عليها من قبل علماء الحفريات لا تزيد عن نصف مليون سنة تقريباً، بينما وجدت بقايا كائنات حية ترجع لأكثر من 50 مليون سنة تقريباً، فقد أثبتت دراسة بعض الحفريات على أن أقدم الكائنات الحية التي ظهرت على سطح الأرض هي اللاقريات (1).

ولا يزال البحث مستمراً في أصل الإنسان، فأما الجسم الإنساني فلم يعد مجهولاً على أنه نشأ وتطور من أحد أشكال الحياة الدنيا، فالإنسان في تركيبه البيولوجي يلتقي في نقاط كثيرة جداً مع الحيوانات اللبونة "الثدييات"، ولا سيما التي تصنف في رتبة الرئيسيات، أو الحيوانات العليا، حتى

(1) د. عبد الله عطوي: الجغرافيا البشرية (صراع الإنسان مع البيئة)، منشورات دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1996، ص 93.

يبدو أنه ليس هناك نظرية أخرى يمكن الأخذ بها، وأما العقل الإنساني، فليس من السهل أن نبرهن بالوضوح ذاته على أنه نشأ وتطور من عقلية الحيوان على غرار تطور الجسم، غير أن ليس ثمة شك في أن دماغ الإنسان، وجهازه العصبي، وخلايا المخ لا تختلف عن جسم الإنسان من حيث نشأتها وتطورها، وأما الأبحاث المتعلقة بوجود الروح الإنسانية وأصلها فهي لا تشكل تناقضاً أساسياً مع الاعتقاد بنشأة جسم الإنسان وتطوره، فمن المؤكد أن العناية الإلهية كانت قادرة على أن تهب الإنسان روحاً في أية مرحلة من مراحل تطوره الجسمي وأنه اختلف على عن المخلوقات من حيث وجود العقل والروح (2).

جاء في القرآن الكريم الكثير من الآيات القرآنية الدالة على خلق الإنسان وفضله على جميع المخلوقات جسمياً، وعقلياً، ونفسياً، وروحياً، وقد جاء في التوراة سطر التكوين، وفي نصوص الأنجيل أن الله قد خلق آدم على صورته، وأنه سبحانه وتعالى خلق الإنسان في أحسن تكوين، وهذا مذهب الذين يؤمنون بالقدرة الإلهية ويفعل الأمر "كن فيكون" ولم يأخذ بذلك تشارلز داروين وأتباعه ومن أفتتق بفكرة نظرية التطور من قبله بمئات السنين واعتبر فكرة وفرضية النشوء والارتقاء بعيداً عما جاءت به الديانات السماوية.

وفي هذا البحث، سيتم التطرق إلى خلق الإنسان ووجود كما جاء في القرآن الكريم، وكيف ظهر على سطح الأرض وما هي السلالات البشرية القديمة والأجناس البشرية الحديثة، كما صنفها علماء الأنثروبولوجيا، والتاريخ، والجغرافيا البشرية، وماهي الخصائص الجسمية، والعقلية، والنفسية، والروحية التي انفرد بها وتميز بها الإنسان عن باقي المخلوقات الأخرى.

أولاً: الإنسان كما جاء في القرآن الكريم.

القرآن الكريم وعاء الحكمة ومصدر الهداية، ونور الإيمان حوى كل المقومات السليمة للإنسان الكامل، والأسرة السعيدة، والمجتمع الصالح، والأمة الحية، والدولة القوية، وهو دستور المسلمين أنزله على عبده ونبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ليهدي الناس إلى الحق، ويسلك بهم طريق الرشاد، ويبين لهم حدود العمل الصالح، والإيمان الصادق، ليكون لهم في الدنيا سبيل إلى

(2) رالف لنتون: دراسة الإنسان، ترجمة عبد الملك الناشف، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1964 م، ص 24-26.

الحياة الكريمة، والنجاة من الخوف والظلم، وفي الآخرة مدخر الجزاء الأوفى والأجر الحسن، ولذلك من خلال ما شرع لهم من أحكام، وعقائد، وعبادات، وفرائض، ونظم، ومبادئ، وبما أحلّ عليهم من الطيبات وحرّم عليهم من الخبائث، وهو السجل الخالد لدين المسلمين، وكتاب الله الذي يحكم بينهم بالحق في كل العهود والأزمنة، فيهديهم إلى الطريق المستقيم، ويأتيهم بالبينة إذا ما وقع بينهم خلاف، أو أشكل عليهم أمر، أو نزلت بهم نازلة، فيخرجهم من الظلمات إلى النور، ويميز الخبيث من الطيب، ويظهر الحق على الباطل، وقص القصص التي حوت أخبار وآثار الأمم السابقة، وبين غضب الله على المفسدين والظالمين والمشرّكين، وكيف أخذ الله الطغاة والجبارين، وهذا القرآن له في كل نفس مسلم إشراق، وفي قلب كل مؤمن هدى ونور، ولكل إنسان فيه بيان وحجة، وموعظة حسنة، وكلما أمعن المسلم المؤمن في القرآن ينكشف له سر من أسرار الكون يوقن عندها أنه تنزيل من العزيز الحكيم (3).

إن القرآن الكريم يحس من يتلوه باللسان، أو يسمعه بالأذن، أو يعمل فيه العقل والفكر، أو يفرغ إليه الفؤاد والقلب، أن اللسان يذوق منه عذوبة وحلاوة، والأذن تتلقى منه نغماً بديعاً، والعقل يفضي فيه من حجة إلى حجة، وينتقل من بينة إلى بينة، وكل ما يُعرض له من حجة وبينة معقول ومقبول، لكنه لا ينتهي إلى نهاية ولا يقف عند غاية، فكل يوم يكشف العقل منه عجباً، ويعرف منه جديداً، هذا القرآن ليس كمثله شيء، فهو كلام الله، وسرٌّ من أسرار إعجازه، ومن أجل ذلك مهما يتقدم الزمان ويضل الرأي، ويكشف العلم ويضع الناس الشرائع، والقوانين، والنظريات لتنظيم الحياة وتفسير الوجود، وضمان الحقوق، فلا يلبث أن يكشف لهم القرآن أن كل علم يخالف كلام الله فهو باطل، لأن القرآن صالح لكل زمان ومكان، وأن ما يدعيه الفلاسفة، والمفكرين، وعلماء الأحياء والفسولوجيا وعلماء الحفريات والأنثروبولوجيا من إن الإنسان والمجموعة الشبيهة به من القرود العليا قد انحدر من أصل واحد، وما يدعيه أصحاب النظرية التطورية، وما جاء به تشارلز داروين، ومن اتفق مع آرائه من القدماء والمحدثين مخالف لما نص عليه الله في القرآن من خلق آدم أبو البشر وذريته من بعده (4).

(3) أ. محمود محمد حمزة وآخرون، تفسير القرآن الكريم، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط 2، 1961 م، ص 3-8.

(4) المرجع السابق ص 6-8.

وسيتّم استعراض كافة الآيات القرآنية التي وردت في خلق الإنسان وما ورد فيها من المفسرين قديماً وحديثاً: وذلك وفقاً لمجموعة من التفاسير والمراجع ومنها: —————

1. تفسير الجلالين للعلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (791-864 هـ)، والعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (849-911 هـ)، تحقيق: هاني الحاج، منشورات المكتبة التوفيقية، القاهرة 2008 م.

2. التفسير الوسيط: د. وهبة الزحيلي (ج 1، 2، 3) دار الفكر، دمشق (ط 2) 2006 م.
3. المختصر في تفسير القرآن الكريم: د. صالح بن عبد الله بن حميد، مع نخبة من علماء مكة المكرمة، دار المختصر للنشر والتوزيع، مكة المكرمة (ط 7) 1443 هـ.

4. تفسير ابن جُزي: للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خادم القرآن الكريم، محمد بن أحمد بن جُزي الكلبي، أشرف على تحقيقه لجنة تحقيق التراث في دار الكتاب العربي، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت، 1983 م.

5. محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، 1981 م، جمع بين المأثور والمعقول، مستمد من أوثق كتب التفسير (الطبري، الكشاف، القرطبي، الألوسي، ابن كثير، البحر المحيط).

6. د. محمد فارس بركات: الجامع لمواضع آيات القرآن الكريم، دار قتيبة، بيروت (ط 4)، 1985 م.

جاء في سورة البقرة آية 30-33، قال تعالى: [وَإِذَا قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۚ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَأِئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَٰٓآدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ]

هذه الآيات دالة على تعظيم الله تعالى لآدم، وهذا التعظيم نعمة شاملة أسبغها الله على بني آدم، لأن فيها تشريفاً لأبيهم، يقول الله أذكر يا محمد لقومك أنني قلت للملائكة حين تعلقت مشيئتي بخلق آدم

إني جاعل في الأرض خليفة يقوم بتنفيذ أحكامي فيها، فقالت الملائكة متعجبين: أتستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها من يفسد فيها بالمعاصي وإراقة الدماء بالقتل، فإن كان لابد من الاستخلاف فنحن أحق به، لأننا معصومون قائلون بتسبيحك وتقديسك، عاكفون على تنزيه ذاتك وصفاتك، فأجابهم الله إني أعلم ما لا تعلمونه من المصلحة في استخلاف آدم وذكر الملائكة الإفساد وسفك الدماء، يشعرونا بأن الأرض كانت مسكونة بمن يفسد ويسفك الدماء قبل آدم، قيل أن طائفة من الجن كانت تسكنها وتفعل ذلك، وقيل أن بشراً كانوا يسكنونها، ثم دببت بينهم العداوة والبغضاء فأفنى بعضهم بعضاً، وقد وجد علماء الحفريات هياكل عظيمة، وجماجم تعود إلى ملايين السنين تختلف عن الإنسان المعاصر وكلمة "خليفة" تؤكد بمعنى إن آدم قد جاء إلى الأرض ليخلف من كان قبله من المخلوقات (5).

قال تعالى في سورة فاطر آية 15-17: [يأيها الناس أنتم الفقراء إلى اللهِ وَاللَّهُ هُوَ لَآ يَـُٔوْا لَكُمْ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ] يخاطب الله الناس على أنهم هم الفقراء إلى الله في كل أمورهم، وأن الله هو الغني عن كل المخلوقات، الحميد الذي لا يحمده سواه، ولديه الأقدار والمشئمة بأن يقضي عليكم بقوته وقدرته، ويأت بخلق جديد لا يكون أمثالكم في عدم طاعة الله يأتي بأناس آخرين لا يعصونه ويسبحونه، وليس ذلك على الله بعزيز.

وقال تعالى: [هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] آل عمران آية 6.

الله وحده هو الذي يخلقكم في أرحام أمهاتكم كما يشاء من ذكر أو أنثى، حسن أو قبيح، أبيض أو أسود طويل أو قصير، وفي الآخرة هو الذي يحاسبكم على أعمالكم فهو واحد لا إله غيره عزيز حكيم في خلقه وملك في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا] سورة النساء، الآية 1.

(٥) د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي: الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص 22-23.

يخاطب الله سبحانه وتعالى الناس بالتقوى ومخافة الله، والالتزام بأوامره واجتناب نواهيه، فهو الذي خلقهم من نفس واحدة من آدم عليه السلام، وخلق من ضلع آدم حواء، وجعل منهما بشراً من الرجال والنساء، وفي هذا الزمان يفوق عددهم الثمانية مليار نسمة، الأصل من آدم وحواء، ثم يؤكد الله مرة أخرى على التقوى، فهو الذي نطلب منه ونسأله من كل النعم، وكذلك صلة الرحم، وخاصة من كان سبباً في وجودنا من الوالدين، وهو الرقيب علينا في كل أحوالنا وعيشتنا.

قال تعالى [يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا] سورة النساء، آية 25.

قال تعالى [قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ] سورة المائدة، الآية 62.

قل يا محمد للمؤمنين: هل أخبركم بمن هم أكثر فسوقاً ونفاقاً وظلماً، إنهم أسلاف الفاسقين الذين طردهم الله من رحمته وغضب عليهم في الدنيا، فمسخ خلقهم فجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت بعصيانهم واقترافهم الكبائر وسوف يكون عقابهم في الآخرة نار جهنم خالدين فيها لأنهم ضلوا عن طريق الخير.

قال تعالى [هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ] سورة الأنعام، آية 2. خلق الله الناس من طين لأن أبوهم آدم عليه السلام خلقه من طين، فهم من سلالته، ثم كتب لهم الحياة في الدنيا مدة من الزمن، ثم إذا جاء أجلهم يتوفاهم ملك الموت، وهذا الأجل معلوم عند الله وحده، ولا يعلمه أحد غيره، كذلك يوم القيامة لا يعلمه إلا الله، ولكن هؤلاء الناس يشكون في يوم البعث والحياة بعد الموت.

قال تعالى [أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّانُهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ تَجْرِيًا مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ] سورة الأنعام، آية 6.

ألم يعلم هؤلاء القوم الذين يكذبون وحادانية الله تعالى واستحقاقه وحده بالعبادة ويكذبون رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ما حل بالأقوام المكذبين بوحدانية الله ما حل بهم من هلاك وتدمير

رغم أن الله مكن لهم ما لم يمكن لكم من نعم بإنزال المطر وجريان الأنهار، فكفروا بأنعم الله وكذبوا الرسل فأهلكهم الله بذنوبهم وأنشأ من بعدهم أمماً أخرى خلفهم في عمارة الأرض. وقد وردت كثير من الآيات في القرآن في هلاك أمم كثيرة، مثل: قوم نوح وقوم لوط وقوم صالح وقوم شعيب وغيرهم من الأمم السابقة وكثيراً ما يتم اكتشاف بعض الحفريات لهؤلاء الأقوام السابقين من البشر ممن خلقهم الله من ذرية آدم عليه السلام.

قال تعالى [وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ] سورة الأنعام، آية 38.

لقد خلق الله الدواب والطيور من ذكر وأنثى وجعلهم أمم مثلهم مثل البشر ليس في الأرض حيوان أو طائر يطير في السماء إلا جماعات متجانسة في تكوينها، وكل ذلك في اللوح المحفوظ، ثم إنهم إلى ربهم يحشرون يوم القيامة، فيحاسب كل بعمله، ذلك إن الله سبحانه وتعالى ما من شيء إلا يسبح له ولكن لا نفقه تسبيحهم سبحانه الله العظيم وبحمده، سبحانه الله العظيم.

قال تعالى [وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ] سورة الأعراف، آية 11.

لقد أنعم الله عليكم بخلق أصلكم وهو أبوكم آدم من تراب، ثم صوركم الله في أحسن صورة، وفضلكم على كثير من خلقه، ثم أمر الملائكة بالسجود لأبيكم آدم عليه السلام إكراماً واحتراماً وإظهاراً لفضله على سائر المخلوقات، فسجدوا جميعاً ولكن إبليس لم يسجد تكبراً وحسداً لآدم على هذه المنزلة، وقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، فكان عقابه أن لعنة الله عليه إلى يوم الدين، خالداً في جهنم هو وذريته ومن تبعه من الكافرين. وكان سبب نزول آدم وحواء من الجنة إلى الأرض وسوس الشيطان لهما حتى أكل من الشجرة المنهي عنها.

قال تعالى [فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ] سورة الأعراف، آية 166.

لقد نهاهم الله عن صيد السمك يوم السبت، وكانت تأتيهم حيتانهم يوم السبت بكل سهولة وبكثرة، فجعلوا الحيل بنصب الشباك يوم الجمعة لتتجمع فيها الأسماك ويأخذونها يوم الأحد، فلما تمردوا

وتجاوزوا أمر الله وخالفوا ما نهاهم الله عليه مسخهم الله إلى قرود خاسئين، أي مبعدين من كل خير، وهنا أمر الله بين الكاف والنون في قوله كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ.

يفسر بعض المؤرخين وعلماء الحفريات المسلمين بأن ما يتم العثور عليه من هياكل عظمية بشرية تجمع بين صفات بشرية كاستقامة العمود الفقري الذال على بني البشر، وبين الجمجم التي كانت فيها الأنياب طويلة ومتشابكة التي تدل على أنها مخلوقات شبيهة بالقردة، فقد تكون هذه الهياكل البشرية هي لهؤلاء القوم الذين مسخهم الله إلى قردة.

قال تعالى [هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ] سورة الأعراف، آية 189.

هو الذي خلقكم أيها الناس من نفس واحدة وهو آدم عليه السلام، وخلق منه زوجته، وهي حواء من ضلع آدم ليأنس بها ويطمئن، فلما جامعها بالنكاح حملت ماءً خفيفاً فقامت به وقعدت وأتمت الحمل فلما قربت ولادتها وأثقلت دعا آدم وحواء ربهما لئن أعطيتنا بشراً سوياً صالحاً لنكونن ممن يشكر على ما وهبت لنا من الولد الصالح.

قال تعالى [إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (22) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (23)] سورة الأنفال، الآيات 22-23. إن شر ما دب على الأرض من خلق الله، هم الصم الذين انسدت آذانهم عن سماع الحق فلا يسمعون، البكم الذين خرس ألسنتهم عن النطق بوحداية الله، هؤلاء لا يعقلون عن أمر الله ونهيه، لو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم مواعظ القرآن، ولكنه علم أنهم لا خير فيهم، وأنهم لا يؤمنون حتى لو أسمعهم لتولوا عن الإيمان عمداً أو عناداً وأعرضوا عن ذكر الله، وقد وصفهم الله في مواضع كثيرة في القرآن بأنهم كالأنعام بل هم أضل وكذلك قوله تعالى [إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ] سورة الأنفال، الآية 55.

قال تعالى [وإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ] سورة هود، الآية 61.

وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالح فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، ما لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فاخلصوا له العبادة، هو الذي خلقكم من الأرض بخلق أبيكم آدم منها، وجعلكم فيها لتعمروا وتصلحوا، فاستغفروه وأسلوه المغفرة والتوبة من ذنوبكم، إنه قريب مجيب لمن دعاه وأخلص له العبادة.

قال تعالى [وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (29)] سورة الحجر، الآية 28-29.

وأذكر أيها النبي - حين قال ربي للملائكة إني خالق إنساناً من طين يابس أسود متغير اللون، فإذا سويته بيدي وأكملت صورته ونفخت فيه الروح ودبت فيه الحياة، فخروا له ساجدين سجود تحية وتكريم، لا سجود عبادة.

قال تعالى [وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14)] سورة المؤمنون، الآية 12، 13، 14.

لقد خلقنا الإنسان من طين مأخوذ من جميع أجزاء الأرض، فأصل الإنسان من آدم، والمقصود هنا هو آدم، ثم خلقنا ذريته من ذكر وأنثى متناسلين من نطفة وهي مني الرجل تخرج من أصلابهم فتستقر في أرحام النساء، ثم تتحول هذه النطفة إلى علقة دماً أحمر، ثم خلقنا العلقة بعد أربعين يوماً مضغاً أي قطعة لحم قدر العلكة، ثم تتحول المضغ اللينة بقدرة الله تعالى إلى عظاماً، ثم تكسو العظام لحماً، ثم أنشأناه خلقاً آخر بنفخ الروح فيه، فتبارك الله الذي أحسن خلق الإنسان في أحسن خلقه فهو أحسن الخالقين.

قال تعالى [وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] سورة النور، الآية 45.

لقد خلق الله تعالى كل ما يدب على الأرض من ماء، فالماء أصل كل الخلائق، لقد جعل من الماء كل شيء حي، ومن هذه الدواب من يمشي على بطنه زحفاً كالزواحف، والحيثان ونحوها، ومنهم من يمشي على رجلين كالإنسان، وهو بذلك خصه في أنه يمشي منتصب القامة دون المخلوقات

الأخرى، ومنهم من يمشي على أربع كالبهائم والدواب ونحوها، وهو بذلك له القدرة فيخلق ما يشاء وهو على كل شيء قدير.

قال تعالى [وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا] سورة الفرقان، الآية 54.

الله الذي خلق من الماء بشراً، أي من مني الرجال والنساء إنساً ذرية ذكوراً وإناثاً، فنشأ من هذا قراب النسب، المصاهرة، الأعمام، والأخوال، وكان ربك قادر على خلق ما يشاء، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

قال تعالى [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ] سورة الروم، الآية 20.

ومن آيات الله تعالى الدالة على عظمته وكمال قدرته أن خلق أباكم آدم من تراب من الأرض، ثم إذا أنتم بشراً كثير ذكوراً وإناثاً، تنتشرون فوق هذه الأرض بكل تضاريسها، تتمتعون من فضل الله في أقواتكم وأرزاقكم ومعيشتكم.

قال تعالى [وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ] سورة فاطر الآية 11.

لقد خلقكم الله من تراب الأرض عندما خلق أبيكم آدم منه ثم من نطفة أي من مني الرجل والمرأة، يخلق ذريتهما منها، ثم جعلكم أزواجاً ذكوراً وإناثاً، وما تحمل من أنثى بمولودها ولا تضع المولود عند الولادة إلا بعلمه وما يعمر من إنسان ويطول عمره ولا ينقص من عمره شيء إلا في كتاب عنده وهو اللوح المحفوظ قبل أن تحمل به أمه وقبل أن تضعه قد أحصى الله ذلك كله، لا يزداد ولا ينقص، فهو أعلم بأحوالكم وكل ذلك سهل ويسير على الله بقوته وعظمته.

قال تعالى [سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ] سورة ياسين، الآية 36.

سبحان الله الخالق الذي خلق الأزواج من ذكر وأنثى كلها مما تنبت الأرض من نبات وأشجار وكذلك من البشر ذكوراً وإناثاً ويخلق بقدرته مخلوقات لا نعلمها ولا نعرف عنها شيئاً من المخلوقات العجيبة الغريبة.

قال تعالى [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ] سورة الحجرات، الآية 13.

يا أيها الناس إنا خلقناكم من أب واحد وهو آدم، وأم واحدة وهي حواء، فلا تفاضل بينكم في النسب، وجعلناكم بالتناسل والتزاوج شعوباً وقبائل متعددة في بقاع الأرض لتتعارفوا بالمحبة والصدقة والمصاهرة، وإن أكرمكم عند الله في الدنيا والآخرة أشدكم تقوى، لأن المتقين عند الله هم أهل الجنة والفردوس الأعلى، وإن الله عليم خبير بأعمالكم ويعلم المتقين منكم.

قال تعالى [خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (15)] سورة الرحمن، الآيات 14-15.

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان من طين يابس كالخفار وهو آدم، وخلق إبليس وهو من الجن من لهب النار المختلط ببعضه ببعض. قال تعالى [هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً (1) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً (2)]، سورة الإنسان، الآيات 1-2.

قد مضى على الإنسان وقت طويل من الزمن، قبل أن تُنفخ فيه الروح، لم يكن شيئاً يُذكر، عندما كان صورة من طين، كذلك الإنسان في رحم أمه، تسعة أشهر لم يكن موجود حتى تتم ولادته.

قال تعالى [قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ (17) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ (19) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ (20) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (21)] سورة عبس، الآيات 17-21.

لُعِنَ الإنسان الكافر وعُذِبَ، وما أشد كفره بربه، ألم ير وينظر من أي شيء خلقه الله أول مرة؟ خلقه من ماء قليل وهو المني، فقدره أطوار وسهل له طريق الخروج من رحم أمه، وبين له طريق الخير والشر، ثم أَمَاتَهُ توفاه، فجعل له مكاناً يقبر فيه، فالإنسان عندما يموت يتم دفنه ولا يبقى مرمياً في العراء كالحيوان.

قال تعالى [يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبُّكَ الْكَرِيمَ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8)] سورة الانفطار، الآيات 6-8.

يا أيها الإنسان المنكر للبعث، ما الذي جعلك تغتر بربك الجواد الكريم، أليس هو الذي خلقك معتدل في جميع أعضاء جسمك، وجعلك في أحسن صورة من الجمال والهيئة، وركبك أي جعل وظائف جسمك تؤدي دوره بصورة عجيبة من القلب والكبد والعيون والأذنين واللسان، وكل الأطراف، لقد كانت مشيئة الله كذلك وهو ما أراده سبحانه.

قال تعالى [فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7)] سورة الطارق، الآيات 5-7.

فلينظر الإنسان نظرة اعتبار، وليعلم أن إعادة خلق الإنسان ليست أصعب من خلقه أولاً عندما خلقه الله من ماء يقذفه الرجل في رحم المرأة، يخرج من بين صلب الرجل وصدر المرأة، إن الذي خلق الإنسان من هذا الماء لقادر على رجعه إلى الحياة بعد الموت والخطاب موجه لمنكرين البعث من الكافرين.

قال تعالى [لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ] سورة التين، الآية 4. أقسم الله تعالى بالتين والزيتون، وأقسم بجبل طور، الذي كلم موسى عليه، وأقسم بالبلد الأمين مكة المكرمة، مهبط الدين الإسلامي، مؤكداً بقدرته أننا خلقنا الإنسان في أحسن صورة تكريماً له على سائر المخلوقات، صورته الجسمية والعقلية والنفسية والروحية (أحسن تقويم).

قال تعالى [اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2)] سورة العلق، الآيات 1-2. اقرا - أيها النبي - ما أنزل إليك من القرآن مفتتحاً باسم ربك المنفرد بالخلق الذي خلق كل إنسان من قطعة دم غليظ أحمر وأنه لكثير الإحسان والجود، وهو الذي علم خلقه القراءة والكتابة بالقلم، ما لم يكن يعلم، ونقله من ظلمة الجهل إلى نور العلم تفضيلاً على سائر مخلوقاته.

كل هذه الآيات القرآنية التي تم ذكرها والتي وردت في خلق آدم وذريته من بعده، وما ورد فيها من تكريم وتفضيل للإنسان على سائر المخلوقات، وسجود الملائكة له، وأنه المخلوق الوحيد الذي جعل الله له العقل والشهوات، وأرسل إليه الرسل، وبين له طريق الهداية والرشاد، وحتى في موته

شرح له الدفن والغسل والكفن وصلاة الجنازة، ووعده بالجنة التي لها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وسخر له البحر وبسط له الأرض وجعل له ذريته من البنين والبنات، وجعل له نسب وصهرًا وفطره على حسب الخير والعمل الصالح، فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل ولا تغيير لدين الله، وهو الإسلام، وجعل محمداً خاتم الأنبياء والمرسلين، وجعل القرآن محفوظ إلى يوم الدين، كل ذلك تكريماً وتفضيلاً للإنسان.

ثانياً: الخصائص التي انفرد بها الإنسان عن بقية المخلوقات.

1. الخصائص الجسمية 2. الخصائص العقلية

3. الخصائص النفسية 4. الخصائص الروحية

إن الإنسان هو أفضل ما في هذا الكون من عناصر، وموجودات، ومخلوقات، ميزه الله عز وجل على غيره من المخلوقات بكثير من الخصائص والمميزات وبذلك كرمه وفضله على سائر المخلوقات وسخر له كل ما في هذا الكون، لينعم بالحياة السعيدة في الدنيا وينال الجنة في الآخرة لذلك فهو مكلف بوحداية الله وعبادته واتباع الرسل والأنبياء، لذلك فهو المحور الأساسي الذي تركز عليه الحياة بكل ما فيها من حركة ونشاط، وإن يكون موضوع الرسالات السماوية يدعو إلى الإصلاح وتعمير الأرض وعبادة الله الواحد الأحد على مر العصور والأزمنة فكان بذلك مصدر اهتمام الفلاسفة والمفكرين.

كان القرآن الكريم محور هداية الإنسان، وتوجيهه، وإصلاحه، وتنمية استعداداته، ومواهبه، وقدراته نحو الخير والصالح وإحداث التغييرات المرغوبة في سلوكه وتوجيهه إلى ما ينبغي أن تكون عليه علاقته بخالقه وبغيره من أبناء جنسه وسائر الكائنات وإلى ما يكون عليه موقفه من المصير الذي ينتظره بعد مماته فقد أوضح القرآن الكريم سر وجود الإنسان كما أوضح الكثير من مكونات شخصيته البدنية، والعقلية، والنفسية، والاجتماعية، والروحية، فقد تكرر ذكر الإنسان في القرآن الكريم ثلاثة وستين موضعاً وكلها معرفة بالألف واللام إلا في موضوع واحد وهو قوله تعالى: [وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا] سورة الإسراء، آية (13).

جاء ذكر الإنسان معرفاً بالألف واللام ومن ذلك قوله تعالى [يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَإِنِّ الْمَفْرُ (10) كَلَّا لَا وَزَرَ (11) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (12) يُنْبَأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (13) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14)] سورة القيامة 10، 11، 12، 13، 14.

وقال تعالى: [إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا] سورة المعارج، آية 19.

وقال تعالى: هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا] سورة الإنسان الآية 1

وقال تعالى: [يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ] سورة النازعات، الآية 35.

وقال تعالى: [قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ] سورة عبس، الآية 17.

وقال تعالى: [فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ] سورة عبس، الآية 24.

وقال تعالى: [يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ رَبِّكَ الْكَرِيمِ] سورة الانفطار، الآية 6.

وغيرها من الآيات الكثيرة التي ورد فيها ذكر الإنسان وإن أول سورة نزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جاء فيها ذكر الإنسان ثلاث مرات في سورة العلق. قال تعالى [خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ] [عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ] [كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ طَغْيَى] قد جاءت آيات خلق الإنسان كلها في سياق التكريم والتعظيم والقدرة الإلهية على الخلق والبعث (6).

لقد خصَّ الله تعالى الإنسان بالقدرة على العلم والقراءة والكتابة قال تعالى في سورة العلق: [اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)] سورة العلق، الآيات 1-5.

وخصه كذلك بالبيان في سورة الرحمن قال تعالى [الرحمن عَلَّمَ الْقُرْآنَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (2)] سورة الرحمن آية 1-2. وخلقه في أحسن صورة وأجملها، قال تعالى: [لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ] سورة التين، الآية 4.

(6) د. عمر التومي الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس - ليبيا، ط 4، 1983 م، ص 73، 74.

ولقد ميزه الله تعالى: على سائر المخلوقات بالقدرة على النطق وتركيب الحروف والجمل والتحدث بأكثر من لغة، فالإنسان لديه القدرة لتعلم أكثر من لغة محادثة وقراءة وكتابة وترجمة، قال تعالى: [أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ] سورة البلد آية 8، 9، 10.

بالإضافة إلى الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر الإنسان صراحة، هناك آيات كثيرة تحدثت عن الإنسان ضمنياً في نطاق حديثها عن البشر، أو الإنس، أو الناس، أو بني آدم أو المؤمنين، حيث بينت العديد من صفاته، أوضحت بجلاء مصدر وحكمة وسر وجوده في الحياة الدنيا والنهاية التي سينتهي إليها في الآخرة، ومن تلك الآيات قال تعالى: [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا] سورة الإسراء، آية 70.

وقال تعالى: [وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] سورة النحل، آية 78.

وقال تعالى [وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ] سورة الروم، آية 22. ومن مظاهر تكريم الله تعالى للإنسان وتفضيله على سائر المخلوقات، أنه أمر بكل ما يؤكد كرامته، وحرية، ومصلحته، وأمنه، وحرمة، وبكل ما يحافظ على حياته، وشرفه، وعرضه وماله، فحرم عليه سفك الدماء والظلم، والاعتداء، والسرقه، والكذب، وانتهاك المحارم (7).

إن تكريم الإنسان وتفضيله على سائر المخلوقات لا يرجعان إلى جنسه، أو لونه، أو ماله، أو شكله، ومظهره الخارجي، أو مركزه السياسي، أو الاقتصادي، أو قدرته الجسمية والعقلية، وإنما يرجعان إلى الغاية من كونه خليفة الله في الأرض من خلال إيمانه بوحداية الله، والإخلاص في العبادة، وإعمار الأرض وإحساسه العميق بالغاية في وجوده الإنساني، لم يخلق الإنسان عبثاً ولم يترك سدى، لما يمتاز به من عقل وقدرة على التفكير والتدبر، واستنتاج النتائج، والإبداع، والاختراع، والتعلم والقيام بكل العمليات العقلية العليا التي يمتاز بها عن سائر المخلوقات الأخرى، وقدرته على وضع الأسماء والمصطلحات لكل جديد في كل عصر، وعلى ضبط غرائزه ودوافعه وكبح شهواته ونزواته والرقى الخلقي والاجتماعي، وتحمل المسؤولية نحو نفسه ونحو الآخرين، وتسخير

(7) د. لطفي بركات أحمد: الطبيعة البشرية في القرآن الكريم، دار المريخ للنشر، الرياض، 1981 م، ص 17، 18، 19.

معارفه، وخبراته، ومهاراته لخدمة البشرية، وقد نتج عن ذلك كله بناء الحضارات عبر آلاف السنين (8).

ومن ذلك كله سوف يتم عرض الخصائص التي انفرد وتميز بها الإنسان عن بقية المخلوقات الأخرى:

1. الخصائص الجسمية:

اختص الله تعالى الجسم البشري بالتشريف والتكريم، وجعله تاج الخلائق التي أنشأها، وهو وإن مائل بعض الأصناف الدنيا من الحيوان في بعض الأعضاء ووظائفها، إلا أنه يمتاز عنها بإمكانية قيام أعضائه من تأدية وظائفها بطريقة تفوق جميع الخلائق، فالعقل البشري لديه القدرة على التفكير المنطقي، والاكتشاف، والاختراع، والإبداع، واليد الآدمية لديها القدرة على تشكيل وتركيب المواد ضمن فن الصناعة، فهناك إمكانيات أودعها الله في جسم الإنسان استطاع بفضلها تغيير الطبيعة لصالحه، فجسم الإنسان له هيكل خارجي مغطى بالجلد، يتركب من مجموعة من العظام تتصل بعضها ببعض بمفاصل وأربطة قوية، وأكثر هذه المفاصل متحركة، وتستمد حركتها من خلال العضلات المرنة القابلة للتمدد والانكماش؛ لكي يحافظ الجسم على شكله وقوامه وكيانه، والأطراف العليا والسفلى من الجسم قوية تتكون في أغلبها من العظام والعضلات والجلد، أما الجزء الأكبر من الجسم فهو الجذع الذي يتكون من تجويفين علوي وسفلي يفصل بينهما الحجاب الحاجز، ويحتوي الجزء العلوي على القلب والرئتان ويعرف بالقفص الصدري، أما الجزء السفلي فيحتوي على المعدة، والأمعاء، والكبد، والطحال، والبنكرياس، والجهاز الكلوي، ويعرف بالباطني، أما الرأس الذي يصل العنق بالجذع فيحتوي على المخ والمخيخ، ومن الأمام الوجه الذي يشمل أعضاء الحواس، كالنظر، والشم، والسمع، من خلال العينين، والأنف، والأذنين، وباقي الأجزاء غير الظاهرة كالأسنان والقصب الهوائية والحنجرة، وإذا ألقينا نظرة على الوظائف الحيوية المختلفة التي يقوم بها الجسم اتضح لنا أنها وزعت على عدد من الأجهزة كل جهاز يتركب من عدة أعضاء كل عضو يقوم بعمل معين يتصل اتصالاً وثيقاً بكل ما يتعلق بوظيفة الجهاز الحيوي، ففي الجهاز

(8) د. عبد الكريم دهينة: سر الوجود بين الحفريات والقرآن الكريم، دار الشرق الأوسط للنشر، القاهرة، 1991 م، ص 75: 84.

الهضمي يقوم كل جزء بمهامه من مضغ وبلع وهضم وجعله الله صالحاً لتغذية الجسم، فالإنسان يستطيع العيش على الخضروات فقط، ويستطيع العيش على اللحوم فقط، ويستطيع العيش على الفواكه فقط، ويستطيع العيش على الحبوب فقط، ويستطيع العيش على الحليب، ومشتقاته خلاف الحيوانات التي بعضها مفترس، لا يأكل إلا اللحم، وبعضها عشبي لا يستطيع أكل اللحم، فالطيور مثلاً منها الجارح الذي يفترس الفرائس، ومنها الداجنة التي تأكل الحبوب (9). وما يميز الإنسان على بقية الكائنات الحية الأخرى من الناحية الجسمية، استقامة العمود الفقري، رغم إن الإنسان يصنف في علم الأحياء من الفقريات، والدعامة الأساسية التي لا يمكن أن يستغني عنها الإنسان، هي الهيكل العظمي، وهو الذي يعطي الجسم شكله الخاص به، ويحفظ تناسقه واتزانته، ويتركب من (206) عظمة، وكلما أمعنا النظر في الهيكل العظمي نرى التناسق العجيب في توزيع أعضائه المختلفة وكيف يلائم كل منها الوظيفة المخصصة له في دقة فائقة من رب العالمين، أما عن قحف الجمجمة في جسم الإنسان فهي تختلف عن كل الجمامج فيما خلق الله من جميع الكائنات لما يمتاز به الإنسان من ذكاء وقدرات ذهنية عجيبة تفوق كل المخلوقات لما أبدع الله سبحانه وتعالى في خلق الإنسان (10).

2. الخصائص العقلية:

الجهاز العصبي: هو الشبكة التي تجعل جسمنا حياً، الذي يمكننا من إدراك العالم الخارجي، ومن ضبط عالمنا الداخلي بفضل فاعليته نستطيع أن نتجاوب ونتفاعل مع البيئة المحيطة بنا وذلك بتحريك عضلاتنا وتنسيق أفعالنا، وأن استمرار الحياة بدونه مستحيل، ويتألف الجهاز العصبي المركزي من الدماغ والحبل الشوكي، ويرتبط به الجهاز العصبي المحيطي المنتشر في كافة أجزاء الجسم، الذي له جزآن رئيسان: الجهاز العصبي الجسماني، أو الإرادي، والجهاز المستقل أو اللاإرادي الذي يؤمن الضبط اللاوعي لأعضاء الجسم، إن الجهاز الحسي يؤمن إلى حد بعيد الإدراك الحسي الواعي والضبط الإرادي لنشاط العضلات، حيث ترد المعلومات خلال الأعضاء الحسية من العينين والأذنين وبزعم الذوق، والشم، وأعضاء التوازن، ومن بين ملايين الخلايا

(9) د. أحمد عمار وآخرون: المرشد الطبي الحديث، مكتبة النهضة، بغداد، 1951 م، ص 15، 16.

(10) المرشد الطبي: مرجع سابق ص 15: 16.

الحسية المرافقة لإحساسات التلامس والحرارة، والألم، والضغط المنتشرة في الجلد، التي تشكل معاً حاسة اللمس، وهناك أيضاً لاقطات لتحسس درجة الضغط في العضلات والأوتار، ولضبط ضغط الدم، ونسبة الأوكسجين، والسكر، وثنائي أكسيد الكربون في الدم، وتحمل الأعصاب المحركة المنطلقة من الجهاز العصبي المركزي إلى العضلات، فتحدث الحركة وتتألف الخلايا التي تكون الجهاز العصبي من جسم خلوي يحوي النواة، ومن ذيل طويل، أو امتداد يسمى المحور العصبي، وعلى جسم الخلية وفي طرف المحور العصبي فروع قصيرة تسمى الزوائد المتشجرة (11).

مخ الإنسان أكبر نسبياً من مخ سائر المخلوقات، يزن نحو ثلاثة أرطال في أعلى الجمجمة، ويتألف من نصف كرة متصلة اتصالاً وثيقاً، ويتكون من مادتين سطحية سمراء، وباطنية بيضاء، أما المادة السطحية السمراء ففيها كثير من الأخاديد والتعاريج وتتألف من مناطق كثيرة تتولى الأعمال الحيوية والرقابة، والإدارة، ولاسيما العليا، منطقة تتول شؤون الحركة وضبطها في الأطراف، والجذع، والرقبة والوجه، واللسان، ومناطق تتولى شؤون الإحساس كالرؤية، والسمع، واللمس، والمذاق، والشم. أما مادة المخ البيضاء الباطنة فتتألف من ألياف عصبية متعددة تعتبر أداة وصل بين ما في مادة المخ السمراء من خلايا عصبية، ويخرج من الجمجمة اثنا عشر عصباً تعرف بالأعصاب الجمجمية تصل بين المخ ومراكز النخاع الشوكي، الذي يمتد من النخاع المستطيل بأسفل المخ إلى أسفل الظهر الظاهر في الفقرات هي عظمة حافظة له من التعرض للأذى، ويخرج من النخاع الشوكي من بين الفقرات إلى الجسم 31 زوجاً من الأعصاب (12).

مع إطلالة القرن الحادي والعشرون زادت معارفنا العلمية عن الخصائص العقلية للإنسان من خلال فسيولوجيا التفكير وتشريح بنية الأنسجة، ويعتبر الدماغ عضواً أساسياً ومهم في معالجة المعلومات الكبيرة والدقيقة التي ترد من الحواس، فهو يبني له على أساسها صورة عن العالم الخارجي، ويصحح هذه الصورة باستمرار، وفقاً للمعلومات الجديدة الواردة إليه. ورغم إن أكثر الناس لديها إدراكاً مشتركاً للعالم الخارجي، غير إن لكل فرد واقعه الخاص به، فالجهاز العصبي

(11) الصادق النيهوم وآخرون: موسوعة بهجة المعرفة (المجموعة الثانية 1 هذا الإنسان)، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس - ليبيا، 1976 م، ص 56: 59.

(12) د. عبد الكريم دهينة: سر الوجود، مرجع سابق، ص 122، 123.

هو الشبكة التي تجعل جسمنا حياً نستطيع بفضلها من إدراك العالم الخارجي ومن ضبط عالمنا الداخلي ونستطيع كذلك التفاعل والتجاوب مع البيئة المحيطة بنا (13).

3. الخصائص النفسية:

ما من حقيقة من الحقائق الدينية في الإسلام، سواء كانت متعلقة بتصور ذهني أو بعمل سلوكي، إلا كان لها تعلق بالإنسان على سبيل إصلاحه، وتحقيق الخير له بوجه من الوجوه آجلاً أو عاجلاً، لأن غاية الدين تحقيق السعادة للإنسان، وإن الواقع الإنساني واقعان: واقع هو الطبيعة التي خلق عليها الإنسان متمثلة في تكوينه الجسدي والنفسي والعقلي، وما يقتضيه ذلك التكوين من الخصائص والصفات التي ترسم حدوده وإمكاناته، وتحقق وجوده الفردي ووجوده الجماعي، وهذا واقع ثابت لا يتغير، فهو كما جاء في قوله تعالى [أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] سورة الروم، آية 30.

وواقع ما يكتسبه الإنسان من الصفات اكتساباً وما ينطبع به من الطباع وما يتفاعل معه من النظم والأحوال وهو واقع متغير أو قابل لأن يتغير (14). فالإنسان هو أفضل ما في هذا الكون من عناصر وموجودات ومخلوقات ميّزه الله على غيره من المخلوقات بكثير من الخصائص والمميزات، فاستحق بذلك تكريمه وتفضيله على سائر المخلوقات، كما استحق بذلك أن يكون المحور الأساسي الذي ترتكز عليه الحياة بكل ما فيها من حركة ونشاط.

وإن يكون موضع الرسالات السماوية ودعوات الإصلاح على مر العصور والأزمان، فقد كانت هداية الإنسان وتوجيهه وإصلاح حاله وتهيئة استعداداته ومواهبه وقدراته نحو الخير والصالح وإحداث التغيران المرغوبة في سلوكه (15).

(13) الصادق النيهوم: موسوعة بهجة المعرفة، مرجع سابق، ص 55، 56.

(14) د. عبد المجيد النجار: ملتقى الندوة الإسلامية بالقبروان، 1977 م، محاضرة بعنوان الإسلام والواقع الإنساني، منشورات الحياة الثقافية، تونس.

(15) د. عمر التومي الشيباني: فلسفة التربية الإسلامية، منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس - ليبيا، (ط 4)، 1983 م، ص 72، 73.

والإنسان بحكم فطرته وطبيعته، ليس بالخير المحض ولا بالشر المحض، بل هو خال من هذا أو ذاك، ونفسه قابلة لأن تكون خيرة أو شريرة، وذلك حسبما يتوفر له من تربية وبيئة، فالخير والشر أمران مكتسبان عن طريق التربية، قال تعالى [وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا] سورة الشمس، آية 7، 8، 9، 10.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه"، فالإنسان من الناحية النفسية لديه أخلاق، فهو مختلف عن جميع المخلوقات (16).

لقد اختار الإنسان حمل المسؤولية دون أن يعرف أنه سوف يقع في المحذور، ويستحق العقوبة، ولكنه مع كل ذلك اختار طريق الحرية وتحمل المسؤولية، وهكذا فهو حر فيما تقع تحت إرادته وتصرفه، شرط أن يكون هذا الإنسان نفسه سوياً، وفي ذات الوقت لا يوجد تناقض بين قدرات الله وإحاطته بشؤون خلقه، وبين حرية الإرادة التي يتمتع بها الإنسان، لأن هذه الحرية هي في حد ذاتها هبة من الله، عرضت على الإنسان فتقبل تحملها، وتحمل نتائجها، وهو مسؤول ويتحمل مسؤوليتها.

قال تعالى: [مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ] سورة فصلت، الآية 46.

وقال تعالى [مَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا] سورة النساء، الآية 111. ولكن رحمة الله التي وسعت كل شيء لا تحمل الإنسان أكثر مما يطيق، قال تعالى [لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ] سورة البقرة، آية 286.

جعل الله للإنسان ميول، ونزعات، ورغبات، وقدرات، واستعدادات، لا توجد عند بقية المخلوقات الأخرى، فالإسلام يتعامل مع شخصية الإنسان ولا يهمل المعطيات التي يفرضها التكوين المتكامل للإنسان، ولا يعترض عليها، بل إن الإسلام يتعامل مع الإنسان بكل احترام وتقدير، لما عليه الإنسان من خصائص نفسية يلتقي فيها الفرد مع الآخرين من البشر، أو يختص بشيء منها دونهم، إضافة إلى ذلك، فإن القرآن الكريم أوضح بجلاء تام كثير من هذه الأمور التي هي من خصائص

(16) نفس المرجع السابق، ص 88، 90.

الإنسان وحده حتى يتم التعامل معها دون القفز عليها وتجاهلها، وترك للعقل البشري في أن يغوص فيها، حتى في مكنونات النفس البشرية، ويحلل ما يستطيع من خباياها، كي يصل إلى الصواب. قال تعالى [وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ] سورة الذاريات، آية 21.

يرعى الإسلام الدعوة إلى سبيل الرشاد بأن تكون هادفة وأن تكون بالحسنى (17). قال تعالى [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] سورة النحل، آية 125.

الخصائص الروحية:

ورد في القرآن الكريم أن الإنسان مخلوق من عنصرين متناقضين، الأول تراب (إشارة إلى البعد الأول) من طين (إشارة إلى الجمع بين التراب والماء) من حمأ مسنون (إشارة إلى تغير الطين بالهواء) من طين لازب (إشارة إلى الطين المستقر على حالة من الاعتدال يصلح لقبول الصورة) من صلصال كالفخار (إشارة إلى إصلاحه بأثر من نار) ويعذ هذا العنصر من أبسط الأشياء في الوجود، أما العنصر الثاني: فهو أسمى ما في الوجود: (روح الله جل جلاله)

قال تعالى [وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ] سورة الحجر، آية 28-29.

في هذه الآية إلى الكيفية التي ينبغي للإنسان أن يتعامل بها مع هاتين النزعتين في الحياة الدنيا كي يفلح ويصلح في الأرض، ويفوز بثواب الآخرة، ولهذا كان الإنسان مستصلحاً للدارين، دار عالم الشهادة، ودار عالم الغيب، فجمع بذلك الغرائز الفطرية والروح لأجل العبادة والإخلاص إلى الله تعالى، فمن الخصائص الروحية للإنسان التقرب إلى الله وطاعة أوامره والابتعاد عن ما نهى عنه، فهو مكرم عن سائر المخلوقات، وبذلك كان أهلاً بأن تسجد له الملائكة، وأهلاً لشرف الخلافة في الأرض وإعمارها، فكان بذلك هو الوحيد بين المخلوقات المجهز بالعقل والتفكير والقدرة على إرادة الأمور والعبادة لله وحده (18)

(17) د. عمارة: حنين بيت العافية: مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد (16)، سنة 1999 م، مجلة تصدر عن كلية الدعوة الإسلامية - طرابلس، ليبيا، ص 199: 205.

(18) د. إبراهيم الشهابي: القرآن حرر الإنسان، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس - ليبيا، (ط 2)، 1992 م، ص 5: 21.

الإنسان جسم، وعقل، وروح، والشيء الظاهر للعيان هو جسم الإنسان بما فيه من أطراف بارزة، وأعضاء مغمورة تؤدي وظائف محددة ومختلفة، لكنها تتكامل في جسد واحد يؤدي وظائفه في الحياة. وهذا الجسد يحمل روحاً نفخها الله فيه، ولكن لا نعلم من أمرها شيء غير اسمها، قال تعالى [وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا] سورة الإسراء، آية 85.

والجسد والروح ليسا منفصلين، فهما في الإنسان وحدة متكاملة، ويكون الانفصال بينهما بالموت، قد حظي الإنسان بالعقل وبفضل العقل، تيسر للإنسان استغلال موارد الطبيعة وتسخيرها لصالحه، فالروح تمثل نور العقل، والعقل هو الذي يسير الروح إلى الإيمان ويقودها إلى التأمل العميق، والتخيل والإدراك والبرهنة والحكم على الأشياء لما يجلب للإنسان السعادة في الدارين (19).

والإنسان كما يمتاز بقدرته على التكلم، والنطق، واستعمال الحروف، والرموز في ألفاظ لغوية، وعلى التفكير الإرادي الواعي فإنه يمتاز أيضاً بنزعه الدينية أو التعبدية المتمثلة في شعوره الديني العميق، ونزعه نحو الإيمان بقوة عليا تسيطر على هذا الكون، ونحو الإيمان بالأمر الغيبية بصورة عامة، وهذا الشعور الروحي أمر فطري في الإنسان يولد وهو مزود بالاستعداد للعبادة، وهو في الوقت نفسه يعبر عن حاجة أساسية من حاجات الإنسان التي لا تتم سعادته بدون تحقيقها، فهو في حاجة إلى الإيمان بوحداية الله، إن طبيعة الإنسان ذات أبعاد ثلاثة هي: (الجسم والعقل والروح)، فهذه الأبعاد الأساسية لشخصية الإنسان، وبقدر ما بينها من توافق وانسجام وترابط يكون تكامل شخصية الإنسان، ويكون تحقيقه وسعادته، وأي انحراف عن ذلك التوافق والانسجام ينشأ عنه ضرر للفرد والمجتمع، والإسلام باعتباره دين الفطرة، ودين التوازن والاعتدال في كل شيء، يعترف بهذه الأبعاد الثلاثة لطبيعة الإنسان، ويدعمها ويدعو إلى تأكيد كل منها، فالإنسان في نظر الإسلام ليس جسماً، أو عقلاً فقط، ولا روحاً فقط، ولكنه كل متكامل، فالإسلام لا يؤيد المادية المجردة من الروح، كما لا يرضى عن الروحية الخالصة من المادة، فالإسلام يرفض القوة المادية التي لا ترتبط بالإيمان والرحمة والأخلاق، ولا يرضى للإنسان أن يكون روحاً بلا جسد، كما يرفض طغيان العقل ويرى أن الإنسان لا يتقدم إلا بالعقل، والروح، والعلم، والإيمان (20).

خلاصة البحث:

(19) د. عمارة: بيت العافية: مجلة كلية الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص 198: 199.

(20) د. عمر التومي الشيباني: فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص 85: 92.

إن الإنسان يتميز بخصائص جسمية عقلية، وثقافية، وفسولوجية، واجتماعية لا تملكها الكائنات الأخرى، ويؤكد أغلب علماء الأنثروبولوجيا على أن التطور يعتمد على البيئة الطبيعية الملائمة والوراثة بواسطة الجينات على التغيرات الوراثية التي يسببها عامل الطفرة، وكلاهما يساعد على إيجاد أنواع من الكائنات الحية التي يمكنها أن تتلاءم مع البيئة هي أطول عمراً أو أقوى على الحياة من الكائنات التي لا تمكنها صفاتها وخصائصها الجسمية والعقلية من التلائم والاستمرار ويرتبط بهذا العامل أيضاً قدرة الكائن الحي على التكاثر وبذلك يصبح الكائن الحي أقدر على البقاء، من كائن آخر لا يتكاثر بنفس السرعة، ويمكن أن ننظر إلى توزيع الحياة الحيوانية على سطح الأرض في الوقت الحاضر، لنجد أن بعض الحيوانات والنباتات أيضاً تتوزع في مناطق معينة هي المناطق الجغرافية الملائمة لمعيشة هذا الحيوانات أو نمو ذلك النبات (21). الواقع إن موت بعض الكائنات الحية، أو انقراض بعض الحيوانات أو التغير في خصائصها وصفاتها، أو عملية التكاثر واستمرار الحياة لبعض منها أمر إلهي يتحكم به الله سبحانه وتعالى فهو الذي يسير الكون والحياة كيف يشاء لحكمة هو يعلمها، وهناك الكثير من الشواهد والأدلة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم التي سبق الإشارة إليها في هذا البحث، وإن كافة الآراء والأفكار التي تخالف ذلك فهي غير صحيحة.

كل النظريات، والآراء، والأفكار، التي يؤمن بها بعض علماء الحفريات والأنثروبولوجيا أن الحياة تطورت من البسيط إلى المعقد فيما يتعلق خاصة بخلق الإنسان، وأن أصوله والمجموعة الشبيهة به من القرود العليا، قد انحدر من أصل واحد، مؤكدين ذلك من خلال آراء تشارلز داروين وما تم العثور عليه من الحفريات البشرية التي تجمع بين الصفات البشرية والحيوانية - الحلقة المفقودة في ذلك إن هذه الهياكل قد تكون لبعض بني إسرائيل الذين حولهم الله إلى قرود عندما عثو عن ما نهو عنه هم أصحاب السبت، إن هذه الهياكل العظمية التي تم اكتشافها من قبل علماء الحفريات وقام علماء الأنثروبولوجيا الأصل وعلماء الأحياء وعلماء الوراثة وعلماء التشريح وعلم وظائف الأعضاء بدراساتها وأكدوا على أنها تخص إنسان من خلال استقامة العمود الفقري وعظام الحوض، ولكن الجمجمة ظهر عليها بعض الخصائص الحيوانية على أساس أنها تخص القرود العليا مثل بروز الفك السفلي، وتشابك الأنياب، وانبساط في أعلى الرأس، فالرأي الأقرب أن هذه الهياكل تخص مجموعة من بني إسرائيل خالفوا أمر الله في السبت بوضع الشباك يوم الجمعة وأخذها يوم

(21) د. فارق عبد الجواد شويقة: الجغرافيا الأنثروبولوجية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1988 م، ص: 7-10.

الأحد، خداع للخالق فحولهم الله إلى قردة خاسئين، فكان أمره بين الكاف والنون قال تعالى: [كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ]، فهذا الأمر لا شك.

لقد خلق الله الإنسان في تسلسل منطقي من نطفة ثم علقه ثم مضغه، ثم كساء العظام لحماً ثم يخرج الإنسان من رحم أمه طفلاً، ثم يبلغ سن الشباب والقوة، ثم يرد إلى أرذل العمل في شيخوخته. إن الله خلق الإنسان في أحسن صورة وخلقه في أحسن تقويم، وفضله على جميع المخلوقات وأمر الملائكة بالسجود له، وعلمه الأسماء كلها، وجعل له عقل، ونفس، وروح، وشهوات، وغرائز، وأمره بالعبادة والتوحيد، وعلمه الكتابة والقراءة، وغير ذلك من الخصائص التي سبق ذكرها التي أكدها القرآن الكريم. لا تبديل ولا تغيير لكلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كتاباً أحكمت آياته ثم فضلت من لدن حكيم عليم.

إن الله قادر على أن يبذل الوجوه فيدرها على أديبارها، دليل على أن الله قد جعل من بعض بني إسرائيل القردة والخنازير، والدليل واضح في آيات الله في القرآن الكريم، ومن خلال الدراسات والأبحاث في كافة مجالات العلوم الطبيعية والإنسانية ما يؤكد أن هناك خصائص مشتركة بين الإنسان وهذه المخلوقات، ومن ذلك فصائل الدم، وتنوع الأصوات عند القردة والخنازير، وإن القدرات العقلية لهذه الحيوانات تفوق بكثير غيرها من الحيوانات، هذا بالإضافة إلى التنوع في الغذاء فالقردة والخنازير غذاؤها متنوع، فهي تأكل اللحوم، والأعشاب، والفواكه، والحبوب، مثلها في ذلك مثل الإنسان، فالاعتقاد بأن أصل هذه المخلوقات كائنات بشرية قد يكون صحيح رغم أن أغلب علماء التفسير قد أكدوا بأن هؤلاء الناس الذين حولهم الله إلى قردة وخنازير لم يتناسلوا وانقرضوا.

المراجع والمصادر :-

أولاً: القرآن الكريم - الأحاديث النبوية الشريفة.

المراجع:

- 1- الإمام المفسر محمد بن أحمد بن جُزي الكلبي، تفسير ابن جُزي، أشرف على تحقيقه لجنة تحقيق التراث في دار الكتاب العربي، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت، 1983 م.
- 2- جلال الدين محمد بن أحمد المخلي، جلال الدين عبد الرحمن بن بكر السيوطي: تفسير الجلالين، تحقيق هاني الحاج، منشورات المكتبة التوفيقية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008.

- 3-صالح بن عبد الله بن حميد، مع نخبة من علماء مكة المكرمة، المختصر في تفسير القرآن الكريم دار المختصر للنشر والتوزيع، مكة المكرمة (ط 7) 1443 هـ.
2. محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، جمع بين المأثور والمعقول، مستمد من أوثق كتب التفسير (الطبري، الكشاف، القرطبي، الألوسي، ابن كثير، البحر المحيط، 1981م.
- 5-وهبه الزحيلي: التفسير الوسيط (ج 1، 2، 3) دار الفكر، دمشق (ط 2) 2006 م.
- 6-محمد فارس بركات: الجامع لمواضع آيات القرآن الكريم، دار قتيبة، بيروت 1985 م.
- 7-إبراهيم الشهابي: القرآن حرر الإنسان، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس- ليبيا، 1992
- 8-أحمد عمار وآخرون: المرشد الطبي الحديث، مكتبة النهضة، بغداد، 1961م
- 9-إرنست ماير، ترجمة د. عفيفي محمد عفيفي: هذا هو علم البيولوجيا، سلسلة علم المعرفة، عدد 277 لسنة 2002م
- 10-رالف لنتون، ترجمة عبد المالك الناشف: دراسة الإنسان، المكتبة العصرية، بيروت 1969م
- 11-سالم القمودي: الإنسان ليس عقلاً، منشورات الإعلام والثقافة، طرابلس- ليبيا، (ط2) 2009م
- 12-عبد الله غانم، د. سعيد الغامدي: المدخل لعلم الإنسان، المكتب الجامعي، الإسكندرية، 1989م.
- 13-عبدالله عطوي: الجغرافيا البشرية، منشورات دار النهضة العربية ، بيروت، 1996م
- 14-عبد الرحمن المطردي: الإنسان وجودة وخلافته في الأرض، عالم الكتب، الرياض، 1444هـ.
- 15-عبد الكريم هنية: سر الوجود بين الحفريات والقرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، 1991م.
- 16-الصادق النيهوم وآخرون: موسوعة بهجة المعرفة (المجموعة الثانية هذا الانسان) الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس- ليبيا، 1976م
- 17-عبد المجيد النجار: محاضرة بعنوان (الإنسان والواقع الإنساني) ملتقى الندوة الإسلامية بالقيروان، منشورات الحياة الثقافية، تونس، 1977م
- 18-عمر التومي الشيباني: مفهوم الإنسان في الفكر الإسلامي، منشورات الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس- ليبيا، 1987م.
- 19-عمر الشيباني: فلسفة التربية الإسلامية، المنشأة العامة للنشر، طرابلس- ليبيا، 1983م
- 20-علي محمود عويضة: حق البدن، وكالة المطبوعات الكويت، 1991م
- 21-عمارة بيت العافية: خلق الإنسان وصفاته، بحث منشور في مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 16 لسنة 1999م ، طرابلس - ليبيا.
- 22-قباري محمد إسماعيل: الانتروبولوجيا العامة، دار نشأة المعارف، الإسكندرية، 1971م

- 23- فاروق عبدالجواد شوتقة: الجغرافيا الانتروبولوجية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1988م
- 24- فاروق العادلي: الانتروبولوجيا العامة، ، بل برنت للطباعة والنشر، القاهرة، 2002م.
- 25- محمد سيد العادلي، تطور الجنس البشري، مكتبة الأنجلوا المصرية، القاهرة، 1970م
- 26- محمود حمزة وآخرون: تفسير القرآن الكريم، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1961م.
- 27- لطفي بركات: الطبيعة البشرية في القرآن الكريم، دار المريخ للنشر، الرياض، 1981م.